صورة المرأة في الشّعر الثّوري الجزائري – مقاربة موضوعاتية لنماذج من الشّعر الفصيح–

The Image of Woman in Algerian Revolutionary Poetry: A thematic approach to examples of eloquent poetry

د. هناء داود

جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر الدّراسات اللغوية والأدبية

daoud.hana@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/30 تاريخ القبول: 2025/12/06 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

لقد احتفى الشّعر الثّوري الجزائري بالمرأة احتفاء يعلي من شأنها ويرفع من مكانتها، فصورها في صورة المجاهدة، والشّهيدة، والأم، والثّائرة، وحمّلها أبعادا رمزية، تدل على الحياة، والحرية، والنّضال، والوطن، من هنا نهدف بالاعتماد على المنهج الموضوعاتي إلى استجلاء صورة المرأة في شعر الثّورة الجزائري، والكشف عن تمثّلاتها من وجهة نظر الشّاعر الجزائري، والوقوف على الموضوعات وأبعادها الدّلالية، فما هي هذي الصور؟ وما هي موضوعاتها، ودلالاتها؟

كلمات مفتاحية: صورة، المرأة، الشّعر، الثّورة، الجزائري.

Abstract:

Algerian revolutionary poetry celebrated women in a way that elevated their status and raised their standing, portraying them as fighters, martyrs, mothers, and rebels, and imbuing them with symbolic dimensions that represent life, freedom, struggle, and homeland. Hence, we aim to use a thematic approach to clarify the image of women in Algerian revolutionary poetry, reveal their representations from the perspective of Algerian poets, and examine the themes and their semantic dimensions. What are these images? What are their themes and meanings?

Keywords: image, woman, poetry, revolution, Algerian.

د.هناء داود، الإيميل: daoud.hana@univ-guelma.dz

1. مقدمة:

كتب الشّعراء الجزائريون قصائ د مطولة نقلوا فيها ملاحم بطولية أدّى أدوارها أبناء الجزائر معلنين من خلالها رفضهم وثورتهم على ممارسات المحتل الفرنسي المستبدّة والظّالمة، فكانت هذه القصائد السلاح الذي وجهه هؤلاء الشّعراء ضدّ جنود الاحتلال الفرنسي؛ إذ أنّهم ناضلوا بالكلمة التي كانت سيفه م وعتادهم الحربي، هذه الكلمة التي وصل صداها إلى جميع الشّعوب في العالمين العربي والغربي، وبواسطتها عرفت القضية الجزائرية واشتهرت، لهذا السبب كانت تُمنع الكتابات الأدبية من النّشر، ويسجن أصحابها وراء القضبان؛ لأنّها تفضح الجرائم المرتكبة في حق الشّعب الجزائري، ومع ذلك لم يستسلم الأدباء عامة والشّعراء على وجه الخصوص أمام هذا المنع، حيث استطاعت كلماتهم خرق قضبان السجن، فشاعت في أوساط الجزائريين وغير الجزائريين، وكل هذا الإصرار يعبر عن قوة وصمود الشّاعر الجزائري الملتزم بقضية وطنه وقضية شعبه.

كانت كل القضايا الوطنية إبان فترة الاحتلال الفرنسي محل اهتمام الشّعراء؛ إذ منحوها المساحة الكافية للتّعبير والتّصوير داخل متونهم الشّعرية؛ حيث عبروا عن الثّورة وأبطالها وأحداثها، والمرأة واحدة من القضايا التي نالت حظّها الوافر من التّوظيف والتّصوير في شعر الثّورة الجزائري؛ لأنّها قامت بأدوار بطولية ساهمت في التّ صدي للمحتل ومقاومته، هذا الدّور الإيجابي منح المرأة مكانة رفيعة بل ارتقت إلى درجات عالية وأصبحت أيقونة النضال ورمز الصمود ومثال التّحدي؛ فخالف بذلك شعراء الثّورة تلك النّظرة الضيقة التي لا تتجاوز حدود التّ غني بالجمال الحسي للمرأة والتغزل بها.

إنّ النساء الجزائريات مثل لالة فاطمة انسومر، وحسيبة بن بوعلي، وجميلة بوحيرد، ومليكة قايد جسدن أروع صور المقاومة والبطولة إبان فترة الاحتلال الفرنسي، فألهمن الشّعراء وسجلن حضورا قويا في قصائد الثّورة التي عبر ت بصدق عن هذه الصّ ور، وتغنّت بكل ما تميزن به من قوة وشجاعة وصمود في وجه جنود الاحتلال، ودخولهن عالم الثّورة دون خوف، فهن شاركن إلى جانب الرجل في الجهاد وكن خير معين له في ميادين المقاومة؛ حيث مارسن مهن التّمريض والطّبخ والقيادة وقدّمن أدوارا كثيرة ساهمت بشكل فعال في نجاح الكثير من خطط المجاهدين وفشل مخطّطات

العدو، هذا الدّور العظيم جعل المرأة الجزائرية المجاهدة والشّهيدة مثالا يُحتذى به، وسيظل مصدر فخر واعتزاز للشّاعر والأديب، يوظّفه كرمز لاستنهاض الهمم، وإيقاظ الوعي، وتوعية الشّعوب المحتلة بضرو رة النّهوض والثّورة على واقعهم وتغييره ورفض كل ممارسات الظّلم والاستعباد.

لقد غيرت المرأة الجزائرية ببطولاتها تلك النّظرة التي ترى أنّها مخلوق ضعيف لا يمكنه خوض المعارك واقتحام ميدان الحروب والتّ صدي في وجه المعتدين، فأعلنت تمردها وأثبتت وجودها وسجلت ا سمها في صفحات التّاريخ وجعلت الشّاعر يتغنى بها في قصائده ويتّخذها رمزا وأيقونة ومثالا يحمل الكثير من الدّلالات والمعاني الإيجابية، بل تحولت إلى أسطورة تحمل قيما تصلح لكل زمان ومكان، وتكسر كل مقولات الضّعف والخضوع والاستسلام لأساليب الاحتلال وممارساته.

هذه السمات أثارت قريحة الشّعراء الجزائريين الذين حملوا على عاتقهم لواء الثّورة وسخروا نصوصهم لخدمتها وإيصال صوتها وفضح جرائم المحتل الفرنسي، وفي المقابل توعية الشّعب الجزائري بضرورة الجهاد والمقاومة وعدم الاستسلام لاسترجاع السيادة الوطنية، وطرد العدو من أرضهم ووطنهم، وضرورة الحفاظ على هويتهم من رياح الطّمس والمسخ التي تهب في كل اتّجاه وتضرب بكل قوة لغتهم ودينهم وثقافتهم وأرضهم، من هنا نجد نصوص الثّورة تزخر بكل معاني البطولة والعبارات القوية الدّاعية إلى القوة والصمود، وتزخر بالحديث عن أبطال الجزا ئر الذين ضحوا بالغالي والنّفيس في سبيل الحرية، ولأنّ دور المرأة بارز فقد احتلت مكانة مهمة في النص الشّعري الجزائري، وحملت أبعادا ودلالات كثيرة سنكشفها في الدّراسة التّطبيقية التي نهدف من خلالها إلى:

- استجلاء صورة المرأة في شعر الثّورة الجزائري.
- الكشف عن تمثّلات صورة المرأة من وجهة نظر الشّاعر الجزائري.
- الوقوف على الأبعاد الرمزية التي منحها هذا التّصوير للمرأة.

وقد اعتمدنا على المنهج الموضوعاتي في استجلاء موضوع المرأة في المتون الشّعرية، والرمزي لتحليل الدّلالات والأبعاد الرمزية التي حملتها هذه الصور.

2. أولا: الشّعر والثّورة:

لم يكن شعر الثّورة مجرد نص إبداعي هدفه التّعبير عن مشاعر الشاعر ومكنوناته وخلجات نفسه بل هو يتجاوز ذلك ولا يقف عند حدود التّعبير العاطفي والنّفسي، إنّه أداة للتّعبير عن الواقع وترجمة كل ما يحدث فيه من ظواهر ومرآة عاكسة للقضايا التي تخص الإنسان والأرض، فهو لم ينفصل يوما عن هذه المهمة ولم يتخلَّ عن نقل وتصوير جميع جوانب الحياة ومشكلاتها بأسلوب يعكس واقعية النص الشّعري الثّوري الّذي التزم بهذه المهمة نجد شعر؛ إذ يعدّ من النصوص الشّعرية الملتزمة بنقل الواقع بجميع تفاصيله وتصويره تصويرا دقيقا بغاية تغييره إلى الأفضل، لذلك انطلق الكثير من الشعراء في قصائدهم الشّعرية من الإيمان بحركة التّحرر من الاستعمار على المستوى العالمي عامة والمستوى القومي خاصة، وأنّهم مدعوون للدّفاع عنها بأصواتهم وأقلامهم، فصاغوا معظم شعرهم للإلقاء الجماهيري من المنصات والمنابر لتعبئة الرأي العام حول القضية[1].

إنّ الظّروف القاسية التي عاشها الشّعب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي أسالت حبر الأدباء عامة والشّعراء على وجه الخصوص؛ إذ كانوا أكثر وعيا وتأثّرا بما يحدث في وطنهم، الأمر الذي جعل صوتهم يرتفع عاليا معلنا الرفض والغضب والثّورة على المحتل الفرنسي، فكان الشّعر أداتهم المسخرة للدّفاع عن قضيتهم ووسيلتهم المتخذة لفضح الجرائم المرتكبة في حق الجزائريين، فكتبوا لوحات شعرية بأسلوب إبداعي يؤثّر في السامعين ويحرك مشاعرهم، ويبثّ فيهم روح الحماس، ويكشف لهم بشاعة المحتل وقداسة الوطن.

لم يقف شعر الثّورة أمام حدود وصف وتصوير الأوضاع في تلك الفترة بل تعدّاه إلى محاربة الأعداء؛ إذ كانت كلماتهم كالسيف القاطع الذي شكّل خطرا على المحتل لأنّه يفضح الجرائم، ويعبر عن الهوية، ويدعو إلى الجهاد، ويوقظ الشّعب من غفلته، ويكشف الوجه الحقيقي لهذا المحتل، فأسهم بدور كبير في إثارة حماسة الشّعب وتغيير الكثير من المفاهيم السلبية التي كانت تسيطر عليه والتي بثّها الفرنسيون في أذهانهم ليظلّوا تحت سيطرتهم وسلطتهم، من هنا يتبين لنا الدّور الفعال للشّعر الثّوري الدّاعي إلى المقاومة والثّائر على كل ما يمس بهويته وأرضه، وبالتّالي يأتي هذا الشّعر كضرورة حتمية فرضتها ظروف الاحتلال التزم بها الشّاعر الجزائري فعبر من خلالها عن موقفه

وموقف الشّعب ككل، وسعى إلى احتواء القضية الجزائرية وتبنّيها للدّفاع عنها، والمساهمة في تغيير الوضع المزري وبناء رؤية واضحة تعكس تفاعل الشّاعر مع قضية وطنه.

وشعر الثّورة بهذه السمات هو الشّعر الذي يكون وليد لحظة الغضب التي تسيطر على الشّاعر وتدفعه إلى الكتابة بكل روح مقاومة وثائرة، وهو بداية إعلان الحرب ضدّ العدو نتيجة ما يلاحظ الشّاعر من أفعال تخرق قوانين حقوق الإنسان وتمس بكرامته، هو الشّعر الذي يرفع شعار الثّورة والرفض، هو شعر التمرد على الأوضاع السائدة والسعي بكل قوة إلى تغييرها، هو الذي يحفظ ذاكرة الوطن وأسماء المناضلين في سبيله، هو الذي يسجل التاريخ بأسلوب إبداعي يحرك المشاعر، وهو نص زاخر بكل معاني المقاومة والنّضال والجهاد، ورافض لكل أساليب الظّلم والقهر والاستعباد.

هذه المفاهيم نجدها في قصائد أكبر شعراء الثّورة الذين وصل صوتهم إلى مختلف أقطار العالم من أمثال: مفدي زكريا، والأمير عبد القادر، ومحمد العيد آل خليفة، ورمضان حمود، وأبي القاسم خمار، وأحمد سحنون، وعبد الحميد بن باديس، وأبي القاسم سعدالله، وصالح خرفي، وغيرهم كثير ممن رفع شعار الثّورة وكتب بكل صدق عن الوطن وقضيته، وعن تلك « البطولات والتّضحيات الجسام، والانتصارات الباهرة التي أبداها الشّعب الجزائري الثّائر في غير لين أو هوادة أو مهادنة أمام عدو لا يعرف لغة الرصاص والكلمة المجلجلة التي لا يشتم منها سوى رائحة البارود والموت»[2]، فأدّت الكلمة دورا فعالا في تغيير الأوضاع وساهمت في إشعال نيران الجهاد والمقاومة في نفس كل فرد جزائري، وبالتّالي لا يمكن بأي حال من الأحوال إنكار هذا الدّور.

إضافة إلى كل هذه المعاني والمضامين التي طبعت شعر الثّورة نجده أيضا منح المساحة الكافية للعنصر النسوي الذي أدّى أيضا دوره الكامل في سبيل نجاح الثّورة وتحقيق الحرية، فعبر الشّاعر عن المرأة التي شاركت في الحرب وناضلت بكل قواها، و وقف موقف المعجب بشجاعتها، والمادح لبطولاتها، والمتغني بجمالها، والمعتز بصمودها؛ وهي حقيقة أراد الشّاعر التّعبير عنها لأنّ المرأة فعلا قامت بدور قيادي لاسيما سنة 1954 حيث « أطلقت لها الثّورة العنان للقوى الكامنة فيها وأذكت عواطفها العارمة وهزت مشاعرها الـ تي كانت مكبوتة من قبل، وما نادى منادي النّضال حتى

تسابقت إليه من كل حدب وصوب، فلم تلبث أن التفت حول جبهة التّحرير لتنفذ بصدق وإخلاص مبادئ الثورة وتقوم بأصعب المسؤوليات وأخطر العمليات الفدائية فبرهنت عن وعيها وكفاءتها وأثبتت أنّها جديرة للقيام برسالتها النّضالية»[3]، هذا الدّور النّضالي أُعجب به الشّاعر الجزائري إعجابا جعله يُخرج المرأة من كونها شخصا عاديا، ليمنحها صفات القداسة والرفعة والعلو لذلك تحولت إلى رمز في القصيدة الثّورية له أبعاده ودلالاته التي سنكشفها في الآتي.

3. تجلّيات صورة المرأة في شعر الثّورة الجزائري:

إنّ اهتمام الشّعراء بالمرأة الجزائرية وتخصيص مكانة لها في نصوصهم الشّعرية جاء اعترافا بما قدّمته من مجهودات وتضحيات في سبيل الوطن، إذ رأوه عملا جبارا يستحق التّكريم والاحتفاء؛ لا سيما أنّ هذا النّهوض جاء بعد تاريخ طويل من الصمت والسكون والخضوع بسبب التّقاليد البالية والأفكار السلبية التي كانت تحطّ من قيمة المرأة وتراها مخلوقا ضعيفا لا يمكنه التحدي والثّورة، لكن ثورة 1954 أثبتت عكس ذلك حيث خرجت المرأة عن سباتها وأعلنت ثورتها ضدّ الأفكار السلبية وضدّ المحتل، وقد وثّقت القصائد ا لشّعرية هذا التحول في حياة المرأة وأشادت بدورها الفعال وبقدرتها على المقاومة؛ فقدّم الشّعراء لوحات شعرية تعكس هذا الدّور وتتغنى بالمرأة المجاهدة والمرأة الأم، والمرأة الزوجة، والممرضة، والمعلّمة.. وغيرها من الصور الراقية التي تعلي شأنها وترفع قيمتها.

1.3 صورة المرأة المجاهدة :

صور شعر الثّورة الجزائري جهاد المرأة وكفاحها في ميادين الحرب، ومدح نضالها واستجابتها لنداء الوطن، هذا الدّور البطولي للمرأة جعل الشّاعر "**مفدي زكريا**"* يقف وقفة إجلال لابنة الجزائر التي رفعت راية وطنها وأثبتت للمحتل أنّ الوطن يستحق التّضحية بالغالي والنّفيس:

أَنَا بِنْتُ الجزائر أنا بنتُ العرب
يـوم نادى المُنادي وَدَعَا للكِفَاح
قمتُ، أحْمي بلادي و تـركْتُ المُزاح
وصدَقتُ جِهَادي وغدَوتُ الجَنَاح[4]

يعبر الشّاعر على لسان المرأة الجزائرية فيجعلها تعبر عن ذاتها وتثبت وجودها؛ حيث استهل القصيدة بالضّمير "أ نا" المعبر عن الذّات المتكلمة التي تعكس صوت الجماعة، حيث تكرر في بداية الصدر وبداية العجز ليدلّ به على كل امرأة جزائرية تفتخر بنفسها وتعبر عن كينونتها وتعتز بانتمائها المحلي والقومي؛ فهي تنتمي إلى وطنها الجزائر وإلى بلاد العرب، وفي المقابل تعلن عداءها للآخر المقصود وهو المحتل الفرنسي الذي يسقط أمام علو ذات المرأة ورفعتها التي ترفع صوتها وتُخرس أفواه هذا المحتل الظّالم، فهي المؤثّر والفاعل والقائد، وهو المفعول به والعبد الضعيف أمام قوتها وجبروتها، من هنا فإنّ القصيدة تعبر عن القوة التي تميزت بها المرأة الجزائرية، وتجسد دورها البطولي ووجودها الدّائم في ساحات الوغى، وهذا ما تعبر عنه القصيدة بعبارات صادقة وألفاظ قوية (أحمي بلادي، صدقت جهادي، غدوت الجناح).وتستمر الأ بيات الشّعرية معبرة عن قوة المرأة المجاهدة وصمودها أمام مواجهات المحتل ودفاعها بكل الأساليب والوسائل الحربية التي تمتلكها دون خوف وبكل عزيمة وإرادة:

أَنَا أَرمي القَنَابِل والمُسدَّس جنْبِي
أنَا أهْوى المُنَاضِل أَصطَفيه بحبِي
أنَا أَفْدِي المُقَاتِل بعيوني وقلْبِي[5]

إنّ تكرار ضمير المتكلم المعبر عن كل امرأة جزائرية مناضلة ومجاهدة في مستهل كل بيت يوحي بمدى الثّقة بالنّفس والشّجاعة التي تحلّت بها نساء الجزائر وهن يخضن أقوى المعارك إلى جانب الرجل، فتواتر الضّ مير "أنا" جاء بقصد للدّلالة على إثبات الذّات وترسيخ الهوية والإصرار على الجهاد دون خوف واستسلام.وفي السياق ذاته يخاطب الشّاعر "محمد العيد آل خليفة"** في قصيدته "ثورة بنت الجزائر" المرأة الجزائرية داعيا إياها إلى الجهاد والمقاومة:

سامِعي في الجِهَاد جُنْدَ الجِهَاد***وأَعِدّي الفِدَا لِنَصْرِ البِلَاد**
يا فَتَاةَ البِلَاد شَعْبُكِ نَادَى***فَاستَجِيبِي بِعَزْمَةٍ لِلْمَنَادِي**
جَدَّ جِدُّ النِّسَاء وانطَلَقَ الرَّكْ***بُ مع الرَّكْبِ لِلْمدَى بِاتِّحَاد**[6]

الشّاعر يدعو المرأة دعوة صريحة إلى ضرورة الانضمام إلى صفوف المجاهدين والاستعداد لمواجهة العدو والانتصار عليه، وينابيها إلى الاستجابة الفورية لنداء الوطن بكل عزيمة، موظّفا لتحقيق ذلك أداة النّداء "يا" التي تفيد طلب الإقبال على فعل الجهاد والثّورة من المنادى (الفتاة)، ليؤكّد بعد هذه الدّعوة مدى ثبات المرأة واستجابتها لنداء الوطن ونداء الشّاعر وانضمامها إلى ركب المجاهدين رافعة شعار الوحدة والتّكاتف واللحمة الواحدة والهدف الواحد، ممّا يعكس اعتراف الشّاعر بقوة المرأة الجزائرية ودورها الفعال وقدرتها على مواجهة الأعداء وإحداث فعل الثّورة وفعل التّغيير في ميدان الحرب.تستمدّ المرأة الجزائرية هذه القوة والشّجاعة من نزعتها الوطنية ومرجعيتها الدّينية التي تحثّ على الجهاد وعدم الخضوع للظّلم والاستعباد، لذلك فهي كانت أول من لبوا نداء الوطن أملا في الحرية والاستقلال، وإنقاذ الأرض من بطش الاحتلال الفرنسي الذي يسعى إلى أخذها بالقوة دون وجه حق، فالمرأة الجزائرية بصبرها وصمودها في ظل الظّروف الصعبة أثبتت جدارتها وأعلت صوتها فوق كل صوت يحطّ من قيمتها ويلغي وجودها، يقول الشّاعر "محمد العيد آل خليفة" مؤكّدا ذلك:

والجميلاَت ذكريات اصطبار*وانيصار علَى الخطُوب الشّدَاد**
قَدْ سبقْنَ الرجالَ في البأْسِ صبرا*وتَحملْن فتْنَةَ الأضدَاد**
وأثرنَ الأبطَالَ لِلثأْرِ منهم*فَاستباحوا زروعَهم بالحصاد**[7]

إنّ صورة المرأة في هذه الأبيات هي صورة تجمع بين كل معاني المقاومة، والجهاد، والنّضال، والصبر على الشّدائد، إنّها المرأة التي تؤدي دورا قياديا يفوق دور الرجل في شدّة تحملها ومواجهتها المحن دون استسلام.

تظهر المرأة المجاهدة في شعر الثّورة بزي المقاتل الشّرس الذي يهابه الأعداء، والثّائر المقاوم الذي لا يخشى القتال ولا يتردد في خوض المعارك، والمناضل الثّابت العزيمة والإرادة الذي لا يغير مبادئه ولا يستسلم أمام الهزائم، والمكافح الذي لا يغادر المعركة إلاّ منتصرا.

2.3 صورة المرأة الشّهيدة:

ألفنا الشّعراء يبكون موتاهم في مرثيات مليئة بعبارات الحزن والأسى والألفاظ الموجعة التي تطبع القصيدة بطابع تراجيدي يبعث على الحزن الشّديد، لكنّنا عندما نقرأ قصيدة من شعر الثّورة لشاعر جزائري يتحدّث فيها عن شهيد قتل في ميدان الحرب فإنّ الأمر يختلف؛ لأنّه لا يبكيه حزنا بل يبكي فخرا وفرحا واعتزازا، فبموته يحيا شعب بأكمله ويتحرر وطن، وينهزم عدو، فهذا الشّاعر "صالح خرفي"*** يعتز بشهيدة الوطن "جميلة بوحيرد" في قصيدة بعنوان "استريحي يا جميلة" التي قيلت بمناسبة اصدار حكم الإعدام عليها قائلا:

لَن تَمُوتِي يا جَمِيلَة
قالَها النّاس ولَكِن لَمْ أَ قُلْها يا جَمِيلَة
أمرِي أَنْ تَستَرِيحِي يا جَمِيلَة
فَالرَّدَى فِي وهَجِ القَسوة أنْسَام عَلِيلَة
إنَّ فِي موتِك للشَّعب انْتصارات جليلَة[8]

ينفي الشّاعر نفيا مؤكّدا موت "جميلة" باستخدام حرف نفي المستقبل "لن"؛ ويؤكّد أنّ ذكراها ستظل خالدة في ذاكرة الوطن وراسخة في ذاكرة كل مواطن جزائري، فيجعل من جميلة شخصية عظيمة سجلت اسمها بماء الذّهب في تاريخ الجزائر وتاريخ العرب، لتتحول إلى رمز الانتصار ورمز النّضال لأنّها ضحت بنفسها من أجل وطنها، واستشهادها ليس هزيمة بل انتصارا، و ليس نهاية بل بداية جديدة تدفع الشّعب للثّأر والثّورة.و"جميلة" ترمز إلى كل امرأة جزائرية ترفض الظّلم والاستعباد، وتسعى إلى تغيير واقعها الأليم وتضحي بنفسها من أجل أن تحيا أرضها حرة.

ويذهب الشّاعر إلى أبعد من ذلك حين جعل من "جميلة" القائد المخلص الذي سيحرر وطنه ويُخرِج شعبه إلى بر الأمان، فهي الضّوء الذي سيزيل ظلمة الاحتلال، يقول:

أَحْيَتنِي دمع يتامى شَرَّدوهم يا جَمِيلَة
ودما حرًّا بريئا، موج الغَدْر سيولَه
إنَّ فِي ضَوئك إشْعاعا يرى الشّعب سبِيلَه[9]

فجميلة بهذه المعاني هي المنقذ للشّعب الجزائري، وهي رمز التّفاؤل والحرية، وتحيل إلى كل امرأة ناضلت بنفسها وقادرة على تقديم التّضحيات في سبيل الوطن، فكل شهيدة من شهيدات الجزائر هي رمز الحياة لأنّها ماتت ليحيا شعبها ووطنها، والموت هنا هو الموت البيولوجي فقط؛ لأنّ كل اسم من أسماء هؤلاء المناضلات ظل وسيظل محفوظا وحيا في الذّاكرة، فهن اللواتي ساهمن بدور فعال في تنشيط حركة النّضال، ووقفن وجها لوجه أمام جنود الاحتلال الفرنسي دون خوف، وواجهن كل ممارساته الظّالمة وجرائمه الشّنيعة، وكتكريم لهذه التّضحيات واعتراف بها احتفى شعر الثّورة الجزائري بالمرأة الشّهيدة فمنحها دلالات عميقة تعبر عن صورتها المشرقة، وتصور شجاعتها وقوتها وقدرتها على الثّورة والقتال، كما يجعلها أيقونة الثّورة ورمز الحرية، ورمز الحياة، فهي لا تمثّل ذاتها فقط بقدر ما تمثّل كل امرأة جزائرية وعربية لم تقف متفرجة ومستسلمة، وهو بهذا يتجاوز الصورة الانهزامية التي ظلّت لصيقة بالمرأة لفترات طويلة إلى صورة المرأة النّاجحة والثّائرة الرافضة لكل مظاهر الطّغيان والظّلم، وهذه النّصوص الشّعرية وثّقت اسم كل شهيدة لبت نداء الوطن فكانت الشّهادة قدرها الذي زادها عزة وفخرا.

3.3 المرأة كرمز للثّورة:

عبر الشّعراء بأسمى عبارات التّكريم والاحتفاء عن ثورة المرأة وخروجها عن حالة السكون التي لازمتها قبل مرحلة انطلاق الثّورة التّحريرية الكبرى سنة 1954 ، وهذه القصائد كُتبت لتحثّ المرأة على الثّورة والإقبال عليها بكل روح ثائرة، يقول الشّاعر "محمد الصالح باوية":

لَم تعودي خَمْرةً للظّلْمِ أُختي*لَم تعودي زفرةَ الكُوخِ الذّليلِ**

عانقي المدفَع والرِيح فَطِفْلي*يرقُب الثّدْي مع النّصرِ الجميلِ**[10]

هي دعوة من الشّاعر موجهة لكل امرأة جزائرية تتضمن عبارات تشجيعية للدّفع بها إلى حمل السلاح والمواجهة، وهو تعبير يحيلنا إلى اكتشاف صورة أخرى تختلف تماما عن سابقتها؛ لأنّ الثّورة التّحريرية أيقظت شعور الوطنية فيها وحركت حسها الثّوري فنهضت بكل ما تملكه من قوة وأعلنت ثورتها بل إنّها كانت ركيزة أساسية في العمل الثّوري لا يمكن الاستغناء عنها، ويستمر الشّاعر مادحا ومشيدا بهذا الدّور البارز، قائلا:

أَنْت للْمدْفع، للرّاية، للثّأر***هنَا بيْن الروابي والحقُول
أنت شلاّل رهيب وشروَق***يحْضن البعْث مع النّصر الجميل[11]

إنّ المرأة هي الحـ ـاضن للثّورة والثّائر الذي لا يستسلم إلا بتحقيق النّصر، إنّها كالشّلال الذي يندفع بقوة دون توقف، هي التي ترفع راية الثّورة وتشعل نيرانها، ولا تطفئها إلاّ بعد الانتصار على المحتل، يقول الشّاعر "محمد العيد آل خليفة" معبرا عن هذا الاندفاع والقوة الثائرة:

فلنثر ثورةً علَى الظّلم كُبْرى***ولْنحطّم سلاَسل الأَقياد
ولْنقُم من رقَادنا فهو عار***هل يفيد الرُّقاد غير الكساد
ولْنصح صيحةَ اللّبؤات في الغا***ب لنحظَى بحرمة الآساد[12]

كانت المرأة المصدر الذي يبعث روح المقاومـ ة ويستنهض الهمم في نفوس الشّعب، فهي مثال يُحتذى به في ميدان الحرب، تسعى لتحطيم كل القيود التي وضعها المحتل، وتحارب ظلمه وبطشه، ويعترف الشّاعر "مفدي زكريا" بهذه البطولات قائلا:

ناداك شعبُك يوْم التّنا***دي فشَرَّفْت ثوْرتَه ونضَالَه
وكُنْتِ لحَواءَ في الخَالدَا***ت مثلاً قَريبا عدمْنا مثالَه[13]

لم تكن المرأة مجرّد مشاركة في الثّورة بل كانت المناضل، والمحارب، والدّافع للقيام بالفعل الثّوري، والملبي للنّداء، فشرفت الثّورة وخلّدت بطولاتها، وأصبحت ا لنموذج والرمز والأيقونة التي يقتدي بهـ ـا جميع بنات جنسها، فكانت المكافأة أن كُرمت أفضل تكريم، يقول الشّاعر معبّرا عن المكانة الرفيعة التي حظيت بها المرأة:

قَلّدتْك الثورةُ الكُبرى وسام الثّائرات
ورأينَاك تَجوبين الجبالَ الشّاهقَات
فَشَهِدْنَا النّصر خفَاقًا بأَرض المُعجزات[14]

إنّ المرأة بفضل دورها البطولي وأدائها الفعال في القيام بكل الأدوار الصعبة وتحديها لكل الظّروف العسيرة نالت وسام الاستحقاق وشرف مشاركتها في الثّورة المجيدة؛ إذ تحقّق النّصر بفضل مجهوداتها الجبارة وعملها الدّؤوب الذي لم يتوقف منذ اندلاع أول رصاصة، لذلك منح الشّعراء

المساحة الكافية للاعتراف بدور المرأة النّضالي وتمجيدها والاعتزاز بها، فجعلوا منها رمزا للثّورة وأيقونة النّضال والتّحدي، وتبقى هذه الأبيات شاهدة على ما قدّمته المرأة الجزائرية من تضحيات في سبيل الوطن.

4.3 صورة المرأة الأم:

إنّ الأم بما تتضمنه من قيمة وتحتله من درجة رفيعة في الدّين الإسلامي وفي المجتمع أيضا لا يمكن أن يغفل الشاعر الجزائري عن الإشادة بقيمتها ، فنراه يعدّد مآثرها ويشيد بدورها الجبار الذي تؤديه لتنشئة الأجيال وتربيتهم على القيم الدّينية ومقومات الهوية، فكما احتفى شعر الثّورة الجزائري بالمرأة المجاهدة والثّائرة والشّهيدة، احتفى أيضا بالمرأة الأم التي تربي الأجيال على قيم الدّين والوطن والهوية، فبفضلها نشأ جيل يدافع عن أرضه، ويرفض الذلّ والاستعباد، وفي هذا المقام يقول الشاعر "مفدي زكريا" معبرا عن هذا الدّور العظيم الذي تقوم به الأم:

فَمِثْلُكِ مَن يصنَع الجِيل شَهْما ويرعى اسْتِقَامتَه واعْتِدَالَه

ويَزْرَع مِلء دماه اعْتِدادًا يُذيب ميوعتَه وانْحلالَه[15]

إنّ وطنية الأم وحبها لوطنها وبفعل تأثيرها الكبير على الأبناء، تنتقل هذه الصفات إلى أبنائها فينشأ جيل يلتزم بالدّفاع عن أرضه ويرفض الذلّ والهوان، فهي المصدر الذي تخرج منه أجيال تأبى الظّلم وتتوق للعيش في كنف الحرية.

إنّمَا الأمَّهات دَولاب عمرا*ن ودَوْحَاتُ عصْمة واسْتِنَاد**

هنَّ أنْس البيوت والأهْلِ تَدْبِي*را وأُسُّ الأَزْواجِ والأَولَاد**

نَحْن عَونُ الرجالِ في كُلِ حالٍ*أَي سعْد لَمْ يستَفِدْ من سعَاد**[16]

ارتبطت الأم في شعر الثّورة بمعاني التّضحية، والقوّة، والصمود؛ فهي الملجأ الذي يحتضن الأبناء ويكون عونا لهم، والسند الذي يدعم الثّوا ر ويقدّم لهم العون بكل ما تملكه من مجهودات، والملهم والمحفّز لهم، والمضحي من أجل أرضه، وهي بهذه المعاني تؤدّي دورا مهما في تخريج أجيال تدافع عن وطنها، وتحمي أرضها، وتحفظ هويتها، الأمر الذي أكسب صورة الأم قيمة إنسانيةً ومنحها أبعادا رمزية؛ إذ أنّ شعر الثّورة ركّز في طرحه لموضوع الأم على الصفات الإنسانية التي

تحملها والدّور الثّوري الذي تؤديه فهي عماد المجتمع وبفضلها قاوم أبناء الجزائر المحتل الغاصب، وعلى هذا الأساس نجد الأم ترمز إلى الوطن والأرض والنّضال.

إنّ المرأة بصفة عامة هي المعادل الموضوعي للو طن، والرّمز الثّوري في شعر الثّورة، ولم تأت هذه الصورة عبثا بل جاءت نظير ما قدّمته من تضحيات وبطولات في ميدان الجهاد، والتاريخَ يحفظ الكثير من أسماء المجاهدات المناضلات اللاّئي قاومن بكلّ بسالة، وقُمن بأدوار فعّالة في تغيير مسار العمل الثوري، وحققن ا تصاراَت كثيرة في المعارك ضد المحتل الفرنسي، هذا الدّور العظيم جعل من المرأة الجزائرية رمزا ثوريا يفخر به أبناء الجزائر ورمزا شعريا يحتفي به الشّعراء في قصائدهم.

4. خاتمة:

عكست قصائد الشّعراء الثّورية الصورة الحقيقية للمرأة وحذفت صورتها النّمطية السلبية؛ فقدّمها الشّعراء في صور مختلفة تشير إلى دورها الفعال في الجهاد والبطولة الذي لا يمكن إنكاره، فسجلت بذلك اسمها بأحرف من ذهب في صفحات التّاريخ الجزائري وفي متون النصوص الإبداعية وتحولت إلى مثال يُحتذى به في كل البلاد العربية وحتى الأجنبية.

تعدّ دت صور المرأة في شعر الثّورة الجزائري؛ إذ صورها الشّعراء تصويرا فنيا مشحونا بالكثير من الدّلالات والرموز الدّالة على المرأة الجزائرية المجاهدة، والثّائرة، والمقاومة، والمرأة الأم، فمنحها مكانة راقية تعبر عن الدّور البارز الذي قامت به إبان الاحتلال الفرنسي، فتحولت من المرأة العادية إلى المرأة الرمز الذي يحمل كل معاني النّضال والحياة، والمقاومة، والصمود، والتّحدي، ما يدلّ على أنّ الشّاعر الجزائري يعترف بجميل ما قدّمته ويؤكّد الجهود الجبارة التي قامت بها إلى جانب الرجل.يعدّ شعر الثّورة سجلا يوثّ ق الدّور البارز للمرأة الجزائرية بأساليب فنيّة وصور شعرية تعبر بصدق عن الصورة الحقيقية التي ستبقى لصيقة بكل امرأة ضحت بالغالي والنّفيس في سبيل حرية الوطن، فكانت الموضوع الذي خصص له شعراء الثّورة مساحة في متونهم الشّعرية؛ لأنّها غيرت صورتها النّم طية، وكسرت مقولة "المرأة كائن ضعيف" وتحدّت ظروفا عسيرة، واستجابت لنداء الوطن، وأثبتت وجودها وكينونتها، فتحولت إلى رمز للهوية والوطن والحرية ونموذج النّضال الذي يُحتذى به.

إنّ قصائد الثّورة التي تتغنى بالمرأة تحمل الكثير من المعاني والدّلالات التي تستحق الوقوف عليها لاستجلائها واكتشافها؛ لذا يتوجب علينا كباحثين العمل على إخراج هذه النّصوص إلى النّور وحفظها من الزوال لأنّها تحفظ أسماء كان لها الدّور البارز في تاريخ الجزائر، كما أنّها تفضح جرائم المحتل، وتوثّق التّاريخ الجزائري بعاطفة صادقة، وتعمل ع لى إيقاظ الشّعور الوطني والإحساس بالمسؤولية، وهذا يساهم في حفظ التّاريخ والاقتداء بمن صنعوا المجد وحقّقوا الحرية.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثّورة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2، 2013.
2. حسن فتح الباب، شاعر وثورة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.ت.
3. صالح خرفي، أطلس المعجزات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، رغاية، الجزائر، 1982.
4. محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010.
5. مفدي زكريا، اللهب المقدّس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر، 2007.
6. مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1987
7. – أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثّورة التّحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
8. – مصطفى بيطام، الثّورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1998.

6. قائمة الإحالات:

[1]-حسن فتح الباب، شاعر وثورة، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، د.ت، ص48.

[2]– مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 1998، ص أ.

[3]– أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثّورة التّحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص25.

[4]–مفدي زكريا، اللهب المقدّس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الرغاية، الجزائر، 2007، ص79.

[5]–المصدر نفسه، ص80

*مفدي زكريا: هو زكريا بن سليمان بن يحي بن الشيخ ، لقبه آل الشيخ، ولد 1908 بقرية بني يزقن بقرية تغليلات بوادي ميزاب (غرداية حاليا)، تنحدر أسرته من بني رستم، كتب العديد من الدّواوين الشعرية منها (إلياذة الجزائر، اللهب المقدس، من وحي الأطلس، تحت ظلال الزيتون)، توفي سنة 1977 بتونس، ودفن في مسقط رأسه بميزاب.

[6]–محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص392.

[7]– المصدر نفسه، ص392.

**محمد العيد آل خليفة: (1904–1979) أديب وشاعر جزائري، تخرج من جامع الزيتونة، وساهم في حركة الانبعاث الفكري في الجزائر، عن طريق مزاولة التّعليم ونشر القصائد، والمقالات في الصحف والمجلات، كان من أعضاء جمعية العلماء المسلمين، له ديوان شعري بعنوان "ديوان محمد العيد آل خليفة".

[8]–صالح خرفي، أطلس المعجزات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، رغاية، الجزائر، 1982، ص89.

[9]–المصدر نفسه، ص90.

***صالح خرفي: من مواليد بلدة القرارة بوادي ميزاب ولاية غرداية سنة 1932 ، التحق بمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء بباتنة سنة 1938 م، أتم حفظه للقرآن الكريم سنة1946 ، وهو لم يبلغ سنة التكليف، ثم التحق بمعهد الحياة ليزاول دراسته الثانوية، وهناك تفتقت مواهبه فنهال على أصول العلوم والشريعة الأدبية.

[10]– بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثورة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2، 2013، ص72.

[11]–المرجع نفسه، ص72.

[12]– محمد العيد آل خليفة، الدّيوان، ص392.

[13]–مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1987، ص107.

[14]– بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثّورة، ص73.

[15]– مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص107.

[16]–محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص392.